

الفصل الرابع

تاريخ منطقة الرياض منذ ظهور الإسلام حتى منتصف القرن الثالث الهجري

إعداد

الدكتور

عبدالعزیز بن راشد العبيدي

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المبحث الأول

اليمامة في عصر صدر الإسلام

أ- إسلام أهل اليمامة:

كانت منطقة اليمامة من أول الأماكن في الجزيرة العربية التي وصلت إليها الدعوة الإسلامية، حيث ورد ذكر وفود عدد كبير من أهلها على الرسول ﷺ، ومشاركتهم في بعض الأحداث التي حصلت آنذاك.

وزاد انتشار الإسلام ودخول القبائل التي تقطن اليمامة فيه بعد دخول القائد اليمامي ثمامة بن أثال الحنفي في الإسلام، وقصة إسلامه مشهورة ذكرتها كتب السيرة؛ فقد ذكر ابن هشام وغيره أن الرسول ﷺ أرسل رسولا إلى ثمامة يدعوه للإسلام، وكان اسم هذا الرسول سليط بن عمرو وأحد بني عامر من لؤي، ويظن أنه لم يستجب لهذه الدعوة. وفي السنة السادسة من الهجرة استطاعت سرية بعثها الرسول ﷺ أن تأسر ثمامة وتعود به إلى المدينة. ولما علم الرسول ﷺ أخبرهم أن أسيرهم هو سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال، أتى إليه وهو موثق في المسجد، وقال له: ما عندك؟ قال: عندي يا محمد إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله ﷺ ثم عاوده من الغد فقال له مثل ذلك، وأجاب بمثل جوابه السابق، عندئذ أمر رسول الله ﷺ بإطلاقه، فخرج ثمامة واغتسل وتشهد ثم عاد إلى الرسول ﷺ، فذكر له أنه أصبح أحب الرجال إليه، وقد كان أبغضهم، ثم سأله الإذن بأداء العمرة فأذن له فاعتمر، وأعلن إسلامه في مكة المكرمة مما أغضب عليه قريشاً، ثم عاد إلى بلاده وأمر بضرب حصار اقتصادي على كفار قريش عانوا منه الأمرين، حتى إنهم ذهبوا للرسول ﷺ يطلبون منه التدخل.

وقد قال الشاعر الحنفي في إسلام ملكهم:

ومنا الذي لبيى بمكة معلناً
برغم أبي سفيان في الأشهر الحرم^(١)

(١) ابن هشام، (١٣٧٥هـ)، السيرة النبوية، ج ٢، ط ٢، البابي الحلبي، مصر، ص ٦٣٨-٦٣٩.

هذه قصة إسلام زعيم اليمامة ثمامة بن أثال، وقد عاد بعد ذلك إلى بلاده يدعو إلى الدين الجديد، ويعمل على نشره بين أفراد قبيلته، وقد أثرت دعوته هذه حيث أخذت الوفود تصل إلى رسول الله ﷺ من قبائل اليمامة وما جاورها، كما أنه ﷺ أرسل إليها العمال واستعملهم في نواحيها. (١)

ب- نبوءة مسيلمة الحنفي:

ظهرت ردة القبائل العربية أواخر عهد الرسول ﷺ وتمثلت في ثلاث حركات كانت إحداها في اليمامة حيث ادعى مسيلمة بن ثمامة الحنفي أن الرسول ﷺ قد أشركه معه في الرسالة حينما وفد عليه في المدينة مع قومه.

وبعدما عاد لليمامة تبعه بعض بني حنيفة وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً يقول فيه: "من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم لا يعدلون" فكتب إليه المصطفى ﷺ: "من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" (٢)

وقد انتقل رسول الله ﷺ للرفيق الأعلى وحركة مسيلمة على أشدها. والحقيقة أن ردة القبائل العربية تعود إلى أسباب عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي: العصبية القبلية التي لا زالت في نفوس العرب وبخاصة البعيدين عن مركز الدولة وعاصمتها المدينة فقد سئموا من سيادة قريش وخافوا أن تستأثر بالسلطة بعد وفاة الرسول ﷺ وتخالف سيرته العطرة وقد حدث نزاع بين نفوسهم الإسلامية ونزعتها والجاهلية المتبقية ونزعتها ووجدوا أن وفاة الرسول ﷺ فرصة للعودة إلى تلك الحياة الجاهلية، والبعض الآخر نظر إلى الزكاة على أنها إتاوة فرضت عليهم فأرادوا التخلص منها. وكان أغلب الذين أسلموا بعد الفتح من الأعراب بحيث لم يمض وقت طويل على إسلامهم يتيح لقلوبهم وعقولهم أن تتشرب

(١) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، التاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض. ص ص ٩٣، ٩٧؛ البكري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ٢، مؤسسة شعبان، بيروت، ص ١٩٤.

(٢) الحضري، محمد بك، (د. ت. د.)، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص ص ٢٨، ٢٩.

تعاليم الإسلام وتمثلها في الحياة. وقد عزم الخليفة أبو بكر الصديق على مواجهة هؤلاء المرتدين وقتالهم حتى يعودوا للإسلام من جديد ولذا عقد الألوية لكبار الصحابة وأرسلها لقتال المرتدين حيث وجه لمسيلمة لواء عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كما عقد لواء آخر لشرحبيل بن حسنة وأمره بمعاونة عكرمة. (١)

وسار عكرمة إلى اليمامة يحمل خطاباً من أبي بكر الصديق يدعو المرتدين إلى العودة إلى الإسلام وإلا فإنه سيقاتلهم. وقد رفض المرتدون الإجابة فقاتلهم المسلمون بقيادة عكرمة لكنه تعجل قبل أن يصل إليه شرحبيل فحلت به الهزيمة وأمره أبو بكر بأن يذهب لليمن. (٢)

اهتم الصديق بأمر مسيلمة ولذا نراه يوجه له أعظم قادة الإسلام إذ ذاك وهو سيف الله المسلول خالد ابن الوليد الذي فرغ لتوه من القضاء على حركات المرتدين الأخرى وأمره بالاجتماع مع شرحبيل والمسير إلى اليمامة، وقد أمدّه الصديق بمدد كبير يتألف من كبار الصحابة البدرين من المهاجرين والأنصار وذلك لاستفحال أمر مسيلمة وعظم خطره.

وسار الجيش الإسلامي إلى اليمامة وقد أسند خالد بن الوليد قيادة فرقه لكبار الصحابة رضوان الله عليهم فجعل على المهاجرين أبو حذيفة بن اليمان وزيد بن الخطاب وعبدالله بن حفص، وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن مالك، وعلى الفرسان أسامة بن زيد. (٣) والحقيقة أن بني حنيفة لم تتبع مسيلمة جميعها، بل كان هناك العقلاء الذين رفضوا اتباعه وسفهبوا ادعاءه النبوة وعلى رأسهم ثمامة بن أثال الحنفي رضي الله عنه فقد جمع قومه وقال لهم: ويلكم يا بني حنيفة، اسمعوا قولي تهتدوا وأطيعوا أمري ترشدوا واعلموا أن محمداً ﷺ كان نبياً مرسلأ لا شك في نبوته ومسيلمة رجل كذاب لا تغتروا بكلامه وكذبه فإنكم قد سمعتم القرآن الذي أتى به محمد ﷺ عن ربه إذ يقول: بسم الله الرحمن الرحيم

(١) زيادة، محمود محمد، (د. ت.)، تاريخ العالم الإسلامي، الخلفاء الراشدون، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ص ٢١ وما بعدها.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٩٠٩هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

(٣) ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤هـ، ط ١٤٠٦هـ)، الفتوح، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ص ٢٨-٢٩.

﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿١﴾. (١) فأين هذا الكلام من كلام مسيلمة الكذاب! فانظروا في أموركم ولا يذهبن هذا عنكم ألا وإني خارج إلى خالد بن الوليد في ليلتي هذه طالباً منه الأمان على نفسي ومالي وأهلي وولدي فقال القوم: نحن معك يا أبا عامر فكن من ذلك على علم، ثم خرج ثمامة مع نفر من قومه فلقي خالد فأمنه خالد وأصحابه. (٢)

وعلم مسيلمة بقدم المسلمین فجمع جيشاً بلغ عدده أربعين ألفاً وعسكر في عقرباء في طرف اليمامة شمالاً مخلفاً الأموال وراء ظهره وسار خالد بجيشه نحوه فلقي سرية من بني حنيفة يقودها مجاعة بن مرارة الحنفي أحد رؤوسهم وساداتهم فأسرهم جميعاً. (٣)

واصطف الجيشان وتقابلا وبدأ القتال بالمبارزة ثم التحم الجيشان واشتد الأمر على المسلمين ولم يلقوا حرباً مثلها قط وتقهقر الجيش الإسلامي ووصل بنو حنيفة إلى فسطاط خالد وبه مجاعة مأسوراً فلما رأى ذلك خالد برز للمسلمين ونادى يا أصحاب محمد يا أصحاب سورة البقرة فاجتمع المسلمون مرة أخرى وصمدوا لمسيلمة وجنده وبدأت رحى الحرب تدور وتخصنوا في بستان لمسيلمة يسميه حديقة الرحمن وهنا انبرى الصحابي الجليل البراء بن مالك وطلب من أصحابه أن يلقوه خلف الأسوار ليفتح لهم الباب ففعلوا ففتح الباب واندفع المسلمون داخل الحديقة يقتلون قوم مسيلمة ويفتكون بهم فتكاً ذريعاً كما أن مسيلمة نفسه قد وقع قتيلاً واشترك في قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ورجل من الأنصار وكان من نتيجة مقتله أن انهارت مقاومة بني حنيفة في الحديقة واستسلموا للمسلمين. (٤)

لم تنته مقاومة بني حنيفة بهزيمتهم في هذه المعركة إذ إن الحصون لا زالت مغلقة ومنيعة واستطاع مجاعة بن مرارة أن يوهم خالد بن الوليد بقوتها وأنها لا زالت مملوءة بالمقاتلين فأثر خالد الصلح وصالح مجاعة على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي أو ربه. (٥)

(١) سورة غافر، آية ١-٣.

(٢) ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤هـ، ط ١٤٠٦هـ)، ج ١، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٣) ابن كثير، الحافظ إسماعيل الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط ٢، ج ٦، مكتبة المعارف، بيروت، ص ٣٢٣.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢٤٨، ٢٤٩؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٤٤-٢٤٦؛ الخضري، محمد بك، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٥) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢٤٧.

كان من أهم نتائج هذه المعركة أن رجع بنو حنيفة للإسلام وأرسل خالد رضي الله عنه وفداً منهم لمقابلة الخليفة الصديق في المدينة، وقد حسن إسلامهم فشاركوا مشاركة فاعلة في حركة الفتوح الإسلامية، كما أنهم أسهموا إسهاماً وافراً في الحضارة الإسلامية فكان منهم العلماء والفقهاء والمحدثون.

ج - الإمامة في عهد الخلفاء الراشدين:

وقد ذكر أصحاب كتب التراجم عدداً كبيراً من الصحابة الذين كانوا في الإمامة ممن نسب إليها ومنهم: حمران بن جابر اليمامي، روى عن الرسول ﷺ. (١) كما أن تلك المنطقة قد شهدت في عهد الخلفاء الراشدين نهضة علمية واهتماماً كبيراً بالتفقه في الدين، وقد ترجم ابن سعد في طبقاته لعدد من أولئك الفقهاء والمحدثين ومنهم: (٢)

- ١- هلال بن سراج بن مُجاعة الحنفي: روى عنه يحيى بن أبي كثير.
- ٢- ضَمَّضَم بن حَوْس الهِمْفاني: روى عن أبي هريرة، وعن عبدالله بن حنظلة، وروى عنه عكرمة بن عمار وغيره.
- ٣- يحيى بن أبي كثير: كان من موالي طيء وسكن الإمامة واستقر بها.
- ٤- أيوب بن عتبة: ولي القضاء في الإمامة، وروى عن مجموعة من العلماء.
- ٥- عبدالله بن يحيى بن أبي كثير اليمامي: كان من خيار الناس ورعاً، توفي في حدود ١٨٠هـ، وروى له البخاري ومسلم. (٣)

وإلى جانب ذلك تولى كثير من أهل الإمامة وما جاورها ولايات إسلامية أو مناصب قضائية في الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، مثل أبو مريم إياس بن ضبيح الحنفي الذي وفد على أبي بكر رضي الله عنه - ففقهه في الإسلام والقرآن والعلم، وولاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قضاء

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ، ط ١٣٩٨هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، دار الفكر، بيروت، ص ٣٥٣.

(٢) المرجع السابق، ج ٥، ص ٥٥٤ وما بعدها.

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت ٧٦٤هـ، ط ١٤٠١هـ)، الوافي بالوفيات، ج ١٧، تحقيق مجموعة من العلماء، ص ٦٦٧.

البصرة،^(١) وخليد بن عبدالله بن زهير الذي ولي خراسان.^(٢)

والحقيقة أن أهل اليمامة بشكل خاص، ونجد بشكل عام، كان لهم جهودٌ كبيرة في ميدان الفتوح الإسلامية، ففقد بعضهم الجيوش الإسلامية، وشارك الكثير منهم في هذه الفتوح. فبعد انتهاء أمر الردة كتب أبو بكر -رضي الله عنه- إلى الأمصار الإسلامية -ومنها نجد- يستنفرهم للجهاد، فلبوا النداء، واجتمع الجميع في المدينة المنورة، حيث عقدت لهم الألوية،^(٣) واتجهوا نحو العراق والشام. وقد كانت ولاية اليمامة في عهد أبي بكر الصديق ترتبط بالخليفة مباشرة، حيث وليها من قبله واليان هما:

١- سَمُرَة بن عمرو العنبري وليها بعد استعادتها من المرتدين سنة ١٢ هـ.^(٤)

٢- سَلَيْط بن قيس بن عمرو،^(٥) وهو الذي استشهد يوم الجسر في السنة الثالثة عشرة.^(٥)

وفي عهد الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانت اليمامة ترتبط إدارياً مع عمان والبحرين أحياناً، ومن ولاته عليها:

١- حذيفة بن محصن: وليها سنة ١٣ هـ مع عمان.^(٧)

٢- عثمان بن أبي العاص: وقد وليها سنة ١٥ هـ، حيث ضمت إلى البحرين التي كان قد تولاهما منذ سنة ١٤ هـ، بينما بقي حذيفة بن محصن الوالي السابق على عمان وحدها.^(٨)

٣- العلاء بن الحضرمي، وقد تولاهما مع البحرين سنة ١٦ هـ.^(٩)

(١) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٨ هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ص ١٢٤.

(٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت ٤٥٦ هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص ص ٣١١-٣١٢.

(٣) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٨ هـ)، مصدر سابق، ص ١٤٩.

(٤) المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٥) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠ هـ)، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(٦) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٨ هـ)، مصدر سابق، ص ٣٥٢.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، ج ٤، دار الفكر، بيروت، ص ٨٢.

(٨) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٩) المصدر السابق، ص ١٨٨.

٤- عثمان بن أبي العاص: وقد تولاهما ثانية مع البحرين سنة ١٧هـ،^(١) وظل والياً عليها حتى سنة ٢٠هـ.

٥- أبو هريرة -رضي الله عنه-: استعمله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ابتداء من سنة عشرين هجرية،^(٢) وضم إليه البحرين سنة إحدى وعشرين، بعد وفاة واليها العلاء بن الحضرمي.^(٣)

٦- وفي سنة ثلاث وعشرين كان الوالي على البحرين وما والاها هو عثمان بن أبي العاص، وربما كانت اليمامة داخلة معها لعدم ذكرها.^(٤) وعلى ذلك تكون هذه ولايته الثالثة عليها.

أما في عهد الخليفة عثمان -رضي الله عنه- فقد استمر عثمان بن أبي العاص الثقفي والياً، غير أنه في سنة خمس وثلاثين -وهي السنة التي استشهد فيها- ذكر خليفة بن خياط أن والي البصرة، وهو عبدالله بن عامر بن كريز، قد بعث للبحرين أميراً هو عبدالله بن سوار العبدي، فلم يزل عليها حتى وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه،^(٥) ويظهر أن اليمامة كانت تابعة لها لعدم إشارة المصادر إليها منفصلة.

وفي خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- تولى أمر البحرين ثلاثة عمال هم: عمر بن أبي سلمة، وقدامة بن العجلان، والنعمان بن العجلان الأنصاري، ويظهر أن اليمامة ظلت تابعة لها خلال فترة ولايتهم.^(٦)

ويشير الطبري أيضاً، إلى أن من ولاة علي -رضي الله عنه- على البحرين وما يليها: عبید الله بن العباس بن عبدالمطلب، وذلك سنة أربعين من الهجرة، وهي السنة التي استشهد فيها.^(٧)

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣١؛ وذكر ابن الأثير أنه أبو بكر، ج ٥، ص ٣٩٨ وهو خطأ.

(٣) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ج ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ١٠.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٤٢؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٥) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ١٨٠.

(٦) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٠.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٩٠.

وإلى جانب الولاية، فقد كان الخلفاء الراشدون يرسلون القضاة إلى الأقاليم الإسلامية. وقد أرسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قاضياً إلى اليمامة، وهو سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري. (١)

(١) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ١٥٥.

المبحث الثاني

اليمامة في العصر الأموي

أصبحت هذه الولاية كغيرها من الولايات تابعة للخلافة الإسلامية في دمشق، غير أن ولايتها كانت في بعض الأحيان تتبع ولاية المدينة، كما أشار إلى ذلك الزبير (١٥٦-٢٣٦هـ)،^(١) وذكر ذلك أيضاً ياقوت الحموي فقال: "وربما ضمت اليمامة إلى المدينة، وربما أفردت هذا كان أيام بني أمية".^(٢) وفي سنة ٥٣هـ أرسل زياد بن سمية إلى معاوية -رضي الله عنه- يقول: "إني قبضت العراق بشمالي ويميني فارغة، فضم إليه معاوية العرُوض وهي اليمامة وما يليها"، إلا أن زياداً مات، فظلت اليمامة تابعة لولاية المدينة.^(٣)

وإذا افترضنا أن ذلك استمر حتى قيام حركة عبدالله بن الزبير في مكة المكرمة، ونجدة العامري في نجد، فإننا نجد أن ولاية المدينة الذين تبعت لهم اليمامة هم:

- ١- مروان بن الحكم: وقد ولاه معاوية سنة ٤٢هـ، وظل والياً إلى سنة ٤٨هـ.^(٤)
- ٢- سعيد بن العاص: وقد ولاه سنة ٤٨هـ، وظل حتى سنة ٥٤هـ.^(٥)
- ٣- أعيد مروان مرة ثانية سنة ٥٤هـ، وظل والياً إلى سنة ٥٧هـ.^(٦)

(١) الزبير، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦هـ)، نسب قریش، عني بنشره وصححه وعلق عليه أ. ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، القاهرة.

(٢) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مادة البحرين.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٦، مصدر سابق، ص ١٦٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٦، ص ٩٨-١٣٠؛ وذكر خليفة بن خياط أن ذلك سنة ٤١هـ، ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٢٢؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٦، مصدر سابق، ص ١٦٤.

(٦) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٢٢-٢٢٤.

٤- تولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان سنة ٥٧هـ وظل والياً إلى سنة ٦٠هـ. (١)

٥- وفي عهد يزيد بن معاوية عزل الوليد سنة ٦٠هـ، وعين مكانه عمرو بن سعيد الأشدق، فظل والياً إلى سنة ٦١هـ. (٢)

٦- أعيد الوليد بن عتبة سنة ٦١هـ مرة ثانية. (٣)

٧- في سنة ٦٣هـ ذكر الطبري أن والي المدينة هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان. (٤)

وفي سنة ٦٤هـ خرج نجدة بن عامر الحنفي باليمامة وظل منفصلاً بها حتى سنة ٧٢هـ حيث قتله أبو فديك الخارجي، الذي قتله جيش عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ. (٥)

وفي عهد عبد الملك بن مروان -رحمه الله- ضمت اليمامة إلى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، التي كانت تشمل مكة والمدينة واليمن أيضاً، (٦) ولما انتقل الحجاج إلى العراق، ذكر ابن خياط أن عبد الملك ولي اليمامة يزيد بن هبيرة، ثم إبراهيم بن عربي، وظل فيها حتى مات عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ، (٧) فأقره علي ولايتها الوليد بن عبد الملك، (٨) على أن اليمامة قد عادت فأصبحت ولاية مستقلة يتولاها أمير من قبل الخليفة الأموي، وهؤلاء الأمراء هم:

١- سفيان بن عمرو العقيلي.

٢- نوح بن هبيرة.

وكلاهما في عهد سليمان بن عبد الملك. (٩)

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٤.

(٢) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٢٩؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٦، مصدر سابق، ص ١٩١.

(٣) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٣٥.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ٧، مصدر سابق، ص ٥.

(٥) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، ج ٤، مصدر سابق، ص ٢٠-٢٨.

(٦) المصدر السابق، ص ٢٩؛ ابن كثير، الحافظ اسماعيل الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، مصدر سابق، ج ٩، ص ٣.

(٧) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٢٩٨.

(٨) المصدر السابق، ص ٣١١.

(٩) المصدر السابق، ص ٣١٩.

- ٣- زرارة بن عبدالرحمن : وقد وليها للخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله . (١)
- ٤- إبراهيم بن عربي في عهد يزيد بن عبدالملك ، وتولاها للمرة الثانية وضمت إليها البحرين . (٢)
- ٥- وفي سنة خمس ومائة وهي السنة التي مات فيها يزيد كان والي اليمامة سفيان بن عمر العقيلي ، وذلك للمرة الثانية . (٣)
- ٦- المهاجر بن عبدالله من بني أبي بكر بن كلاب : وذلك في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك . (٤)
- ٧- علي بن المهاجر بن عبدالله الكلابي : وذلك في عهد الخليفة الوليد بن يزيد ، وظل والياً حتى قتل الوليد سنة ١٢٦هـ . (٥)

وبعد مقتل الوليد ثار عليه المهير بن سلمى الحنفي وأمره بمغادرة البلاد فامتنع علي بن المهاجر فقاتله المهير فهزمه قرب حجر فهرب علي إلى المدينة وتأمر المهير على اليمامة حتى مات ، واستخلف بعده عبدالله بن النعمان من قيس بن ثعلبة ، وفي عهده قامت حروب ومنازعات بين القبائل في اليمامة ، حتى قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري والياً على اليمامة من قبل والده يزيد حين كان والياً على العراق ، وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد ، فاستقرت الأمور في بلاد اليمامة حتى سقطت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ . (٦)

- (١) المصدر السابق ، ص ٣٢٣ .
- (٢) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ؛ وانظر لمزيد من التفصيل كتاب : الجاسر ، حمد ، (١٤١٤هـ) ، ابن عربي موطن الحكم الأموي في نجد ، دار اليمامة للبحث والتأليف والنشر ، الرياض .
- (٣) ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد ، (ت ٦٣٠هـ) ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ١٩٠ .
- (٤) ابن خياط ، خليفة ، (ت ٢٤٠هـ) ، مصدر سابق ، ص ٣٥٩ ؛ الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت ٧٦٤هـ) ، ط ١٤٠١هـ ، ج ١١ ، مصدر سابق ، ص ١٣ .
- (٥) المصدر السابق ، ص ٣٥٩ ؛ ابن الأثير ، عز الدين علي بن محمد ، (ت ٦٣٠هـ) ، ج ٤ ، مصدر سابق ، ص ٢٧٢ ، ويشير ابن الأثير إلى أنه ولي من قبل والي العراق ، إلا أن خليفة بن خياط ذكر اليمامة مفردة عند ذكر الولاية .
- (٦) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٧٢-٢٧٤ ؛ ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد ، (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج ٦ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٧٢ .

حركة النجدات الخوارج:

يُعد خروج الثوار على الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بدايةً لأمر الخوارج ثم ظهرت فرقة الخوارج في العراق في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه . إلا أن أمرهم استفحل بعد قيام الدولة الأموية وكانت من أقوى فرقهم فرقة الأزارقة التي قادها نافع بن الأزرق الحنظلي وانضم إلى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وقاتل معه فكان ذلك من أسباب اختلاف هذه الفرقة وتشتتها في البلاد الإسلامية. (١)

انطلقت فرقة من الخوارج حوالي سنة ٦٥هـ بقيادة أبي طالوت من بني بكر بن وائل ووصلت الخضارم وكانت لبني حنيفة فنهبها الخوارج واستولوا على أموال الخليفة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- ومن جملتها الرقيق العاملون في المزارع وعددهم أربعة آلاف حيث قسمها أبو طالوت بين أصحابه. (٢) واتخذ الخوارج من اليمامة مركزاً لهم فتمكنوا من التحكم في الطريق التجاري القادم من العراق والبحرين والمتجه إلى الحجاز ولذا نجدهم يعترضون عيراً لابن الزبير ويستولون على ما بها من أموال، وقد اشتهر من قادتهم نجدة بن عامر بن عبدالله الحنفي الذي كان يقودهم في هذه العمليات حتى عظم شأنه فبايعه الخوارج وخلعوا أبا طالوت سنة ٦٦هـ، وكان قد اختلف مع نافع بن الأزرق في تكفير أهل القبلة واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وتحريم مناعتهم، ولذا يُعد خارجاً سياسياً يطلب الحكم والسلطان. وقد استفحل أمره بعد ذلك فأخذ يغير على القبائل العربية ويخضعها لسلطانه، كما فعل مع بني كعب حيث هزمهم بذئ المجاز. (٣)

وفي سنة ٦٧هـ سار نجدة إلى البحرين فانضمت إليه قبائل الأزدي وقالوا هو أحب إلينا من ولاتنا، إلا أن القبائل الأخرى وبخاصة عبدالقيس رفضوا الخضوع له فقاتلهم في القطيف وهزمهم وقتل منهم عدداً كبيراً. (٤)

(١) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، مكتبة المعارف، بيروت، ص ٢١٠: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، ج ١، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ص ١٢٢-١٢٣؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المشهور بتاريخ ابن خلدون ٣٩١هـ، ج ٣، ص ١٤٥؛ الخضارم: واد بأرض اليمامة ويقال له جو الخضارم، الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ٢، مصدر سابق، ص ٣٧٦.

(٢) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٦؛ ذو المجاز: ماء على فرسخ من عرفة تقام فيه سوق للعرب مدة ثمانية أيام. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٤٦.

أقام نجدة في القطيف فترة من الزمن يخضع القبائل القاطنة بها، كما أنه تصدى لجيش قوي أرسله مصعب بن الزبير رضي الله عنه من البصرة سنة ٦٩ هـ لقتال نجدة فهزمهم وطردهم من البحرين. (١)

كانت هذه الأحداث سبباً في استفحال أمر نجدة وتوسع دولته كما أنها كانت سبباً في تقوية جيشه بما انضم إليه من القبائل العربية، ولذا نراه يرسل أحد رجاله وهو عطية بن الأسود الحنفي بجيش إلى عمان ويستولي عليها ويضمها لدولته.

ووصلت جيوشه إلى كاظمة شمالاً، ثم عاد إلى اليمامة بعدما خضعت المنطقة الشرقية للجزيرة العربية كلها. (٢)

وكانت المرحلة الثانية لتوسع نجدة جنوباً فقد اتجه بجيشه إلى اليمن ووصل إلى صنعاء فبايعه أهلها وجبى الصدقة من مخاليفها. وأرسل نجدة أحد رجاله وهو أبو فديك بن عبدالله بن ثور بن قيس بن ثعلبة إلى حضرموت وأخضعها. (٣)

وهكذا لم يبق خارجاً عن سيطرته في الجزيرة العربية سوى الحجاز ولذا نجده سنة ٦٩ هـ يتجه نحوه حاجباً في ثمانمائة وستين رجلاً من أصحابه ولما وصل مكة صالح عبدالله بن الزبير وحج مع أصحابه ولم يتعرض أحدهما للآخر ثم اتجه نحو المدينة فعلم بعزم أهلها على قتاله فتركها واتجه إلى الطائف فبايعه بعض أهلها ولكنه لم يدخلها واستعمل عليها أحد رجاله (الحازوق الحنفي). (٤)

وعاد نجدة إلى اليمامة بعدما مد سلطانه على بلاد الجزيرة العربية ما عدا مكة والمدينة حيث استخدم ضدّهم الحرب الاقتصادية فمنع عنهم الميرة مما دفع ابن عباس إلى مكابته في ذلك وتذكيره بصنيع ثمامة ابن أثال الحنفي مع رسول الله ﷺ حينما أشار عليه بعدم منع الميرة عن كفار مكة فاستجاب له رضي الله عنه، فكيف يقطع عنهم الميرة وهم مسلمون فأعادها نجدة لهم واستجاب لابن عباس رضي الله

(١) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت ٢٨٢ هـ، ط ١٩٦٠ م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج ٢، ص ٢٧٢؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٣٥٢.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٣) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٣٥٣؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٤) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٣٥٣؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٤٧.

عنهما. (١)

والحقيقة أن نجدة قد استطاع أن يقيم دولة قوية مترامية الأطراف مما دفع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى مكاتبته وطلب منه أن ينضم للدولة الأموية ويصبح والياً على تلك البلاد^(٢) إلا أن الأيام لم تمهل نجدة طويلاً فقد اختلف عليه قومه وثاروا عليه وولوا مكانه أبا فديك عبد الله بن ثور وبايعوه وانتهى الأمر بقتل نجدة وتفرق الخوارج. (٣)

والحقيقة أن موقف أهل اليمامة قد تغير بعد النجدات حيث انضموا تحت لواء الخلافة الأموية ووقفوا مع واليهم الأموي ضد خوارج البحرين ففي سنة ١٠٥ هـ صد أهل اليمامة مع واليهم الأموي الهجوم الذي قام به خوارج البحرين ضد اليمامة وقتلوا زعيمهم مسعود العبدي^(٤) مما دفع الشاعر الفرزدق إلى مدحهم في قصيدة يقول فيها: (٥)

لعمري لقد سلّت حنيفة سلةً	سيوفاً أبت يوم الوغى أن تُعيّرا
سيوفاً بها كانت حنيفة تبتني	مكارم أيام تُشيبُ الحزورا
فلولا رجال من حنيفة جالدوا	ببرقان أمس كاهل الدين أزورا

(١) المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٣.

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، (ت ٥٤٨ هـ)، ج ١، مصدر سابق، ص ١٢٤.

(٣) البيهقي، أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت ٢٨٢ هـ)، ط ١٩٦٠ م، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٧٣.

(٤) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠ هـ)، مصدر سابق، ص ٣٣٦؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦ هـ)،

ج ١، مصدر سابق، ص ٣٨٧؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٩٠.

(٥) ديوان الفرزدق، ج ١، دار صادر، بيروت، ص ٢٢٦.

المبحث الثالث

اليمامة في العصر العباسي الأول

لم تتغير الأوضاع الإدارية في الدولة الإسلامية بعد انتقال الخلافة للعباسيين، وتحول العاصمة إلى بغداد، فقد بقيت الولايات على حالها زمن الأمويين.

وتذكر المصادر التاريخية أن والي الأموي باليمامة (المثنى بن يزيد بن هبيرة) لم يخضع للخلافة الجديدة واستمر مستقلاً بها حتى سنة ١٣٣هـ حيث أرسل إليه والي مكة والمدينة واليمامة المعين من الخليفة العباسي جيشاً بقيادة إبراهيم بن حسان السلمي، المعروف بأبي حماد الأبرص، استطاع القضاء عليه وقتله^(١) وأصبحت منذ ذلك التاريخ تابعة للعباسيين.

على أن اليمامة في أوائل الدولة العباسية قد ضمت لولاية الحجاز، حيث إن أبا العباس السفاح قد ولي عمه داود بن علي مكة والمدينة واليمامة واليمن في السنة الأولى للخلافة العباسية أي سنة ١٣٢هـ، وبعد وفاة داود في السنة التالية، عين السفاح خاله زياد بن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي على مكة والمدينة والطائف واليمامة،^(٢) ولا شك أن تولي هذين الشخصين يدل على أهمية هذه الأقاليم بالنسبة للخلافة العباسية.

وفي سنة ١٤١هـ فصلت مكة والمدينة، وأصبح لكل واحدة منهما وال مستقل.^(٣) ويظهر أن اليمامة أصبحت ولاية مستقلة، حيث ذكر الطبري سنة ١٤٣هـ أن أبا جعفر المنصور عزل والي مكة والطائف، وعين مكانه السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب، وكان يومئذ باليمامة، وولى أبو جعفر على اليمامة قثم بن العباس بن عبدالله بن عباس^(٤) وظل والياً مستقلاً طيلة خلافة أبي

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٤٨؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ١٧١.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٧٩؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ)، مصدر سابق، ص ٨.

جعفر المنصور. (١)

وقد حدثت في الإمامة أحداث استدعت تدخل جيوش الخلافة العباسية. ففي سنة ١٥٢ هـ تحرك الخوارج في البحرين، وامتد نشاطهم للإمامة، فأرسل الخليفة جيشاً بقيادة عقبة بن سلم الهنائي والي البصرة، فاستطاع إخماد هذه الحركة، وأسرف في القتل، وخاصة في قبيلة ربيعة. ويذكر اليعقوبي أن عقبة تولى الإمامة وظل فيها حتى خلافة المهدي حيث عزله عنها. (٢)

على أن الطبري يشير في أحداث سنة ١٥٩ هـ إلى أن قثم بن العباس كان والياً على الإمامة، وقد عزله في هذه السنة الخليفة المهدي وولى مكانه بشر بن المنذر البجلي. (٣) وفي سنة ١٦١ هـ ضمت الإمامة لجعفر بن سليمان الذي كان والياً على مكة والطائف واستمر كذلك إلى سنة ١٦٦ هـ حيث عزله الخليفة وولى على مكة والطائف عبيد الله بن قثم. ويظهر أن الإمامة أيضاً ضمت إليه. (٤) على أن ابن خلدون يذكر من ولاية المهدي على الإمامة اسم عبدالله بن مصعب الزبيري دون تحديد مدته. (٥) وأشار إلى ذلك أيضاً الزبيري. (٦)

وفي عهد الخليفة الهادي بن المهدي فصلت الإمامة عن الحجاز، وأضيفت إلى البحرين في سنة ١٦٩ هـ، وعين القائد الخراساني سويد بن أبي سويد والياً عليها، (٧) وبذلك بدأ عهد جديد لهذه الولاية، حيث أصبحت تابعة لولايات الخليج وجنوب العراق، وهو وضع استدعته الظروف الأمنية لهذه المناطق.

(١) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠ هـ)، مصدر سابق، ص ٤٣٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت ٢٨٢ هـ، ط ١٩٦٠ م)، ج ٢، مصدر سابق، ص ٣٨٥-٣٩٦.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ)، ج ٩، مصدر سابق، ص ٣٢٩؛ وكذلك ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٥٣؛ ويذكر ابن خلدون أنه بعد عزل قثم ولى أولاً الفضل ابن صالح، ثم ولي بشر بن المنذر، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٢٨؛ الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦ هـ)، نسب قريش، عني بنشره وصححه وعلق عليه أ. ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٣.

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨ هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢١٣.

(٦) الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦ هـ)، مصدر سابق، ص ٢٤٢.

(٧) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٣٢؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠ هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٧٧.

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد تطورت تلك الولاية حيث أصبحت تشمل البصرة والأهواز وفارس وعمان إلى جانب اليمامة والبحرين، وقد ولي عليها جميعاً محمد بن سليمان بن علي،^(١) واستمر والياً إلى أن توفي سنة ١٧٣ هـ.^(٢)

وذكر الطبري أن عدد ولاية الرشيد على البصرة كانوا أربعة عشرة والياً،^(٣) ويكاد يتفق مع خليفة بن خياط في هؤلاء الولاة. ولما كانت اليمامة ملحقة بالبصرة في ذلك الوقت فهؤلاء هم ولايتها، على أن بعضهم كان يستخلف على اليمامة من يدير ولايتها نيابة عنه كما فعل عيسى بن جعفر بن أبي جعفر الذي استعمل عليها عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله المعروف بعمر الأصغر من ولد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه.^(٤)

وقد انفرد الخطيب البغدادي بذكر والين على اليمامة وما كانت تجمع معه من ولايات في عهد الرشيد، وهما: قائد الخليفة هارون الرشيد واسمه المعلى، وعمارة بن حمزة من ولد عكرمة مولى ابن عباس.^(٥)

وقد استمرت اليمامة ولاية يشير إليها المؤرخون في بقية عهد بني العباس، غير أنها لم تفرد بولاية مستقلة، وإنما كان وضعها كالتالي: مع البحرين وعمان، أو مع البحرين وغوص البحر، أو مع السواد وكور دجلة، أو مع البحرين وطريق مكة، أو مع الحرمين، أو مع البصرة وكور دجلة والبحرين، أو مع فارس والأهواز والبحرين.^(٦)

ومع بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ظهر الأخيضريون باليمامة واستقلوا بها وأسسوا دولة ظلت فترة طويلة من الزمن، كما سيأتي تفصيله في الفصل الخامس.

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٥٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٢١٧.

(٢) ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ٤٤٨؛ ابن كثير، الحافظ اسماعيل الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ١٦٢.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ١١٣.

(٤) الزبير، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦هـ)، مصدر سابق، ص ٣٥٨.

(٥) البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٩٦.

(٦) الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، (١٤١٢هـ)، ولاية اليمامة، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ص ١١٦ وما بعدها.

obeyikan.com

المبحث الرابع

أهمية ولاية اليمامة خلال العصر الإسلامي

تشير المصادر التاريخية والجغرافية إلى أهمية ولاية اليمامة خلال ذلك العصر، حتى أن هذه الولاية أصبحت تضم منطقة نجد كلها، ويحدد ابن رسته حدود ولاية اليمامة بما يلي:

تتصل بالبحرين شرقاً، وتفضي إلى مكة المكرمة غرباً، وتتصل بالبصرة شمالاً، وجنوبها بلاد اليمن،^(١) وهي بذلك تضم بلاداً كثيرة، وتسكنها العديد من القبائل العربية^(٢) التي أسهمت في المجالات المختلفة في الدولة الإسلامية، كما أن موقعها وسط الجزيرة جعلها تتحكم في الطرق المتجهة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وبخاصة طرق الحج حيث ازدهرت المحطات الواقعة على هذه الطرق.

وأشار الجغرافيون المسلمون إلى تعدد المراكز الإدارية أو ما أطلق عليه بعضهم اسم منبر نسبة إلى منبر الإمام الذي يرتقيه للخطبة، فعدد الحربي ما يزيد على عشرين منبراً في اليمامة، وذكر القبائل التي تقطنها ومن أهمها: (٣)

- ١- منبر بحجر (مركز اليمامة).
- ٢- منبر بالخضرة لبني ربيعة.
- ٣- منبر بالخرج لبني قيس بن ثعلبة.
- ٤- منبر بقرية بني سدوس.
- ٥- منبر بالمجازة لبني هزان من ربيعة.
- ٦- منبر بعقرباء لبني عامر من ربيعة.

(١) ابن رسته، أحمد بن عمر، (١٨٩٣م)، الأعلام النفيسة، مدينة ليدن، ص ١٨٢.
 (٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ، دار اليمامة، الرياض، ص ٣٠٧.
 (٣) الحربي، إبراهيم بن إسحق، (ت ٢٨٥هـ، ط ١٣٨٩هـ)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، دار اليمامة، الرياض، ص ٦١٢، ٦١٦، ٦١٩.

٧- منبر بمرارة لبني كلب .

٨- عدد من المنابر لبني نمير في ملهم، وقران، وأضاح وحظيان .

٩- منبر بالفليج لبني قشير .

وغير ذلك كثير مما عدده الحربي، وأشار إليه ياقوت الحموي^(١) حين تحدث عن بعض المناطق في

اليمامة .

وإلى جانب الولاة كان هناك عدد من الوظائف التي تعينه وتساعد على إدارة شؤون اليمامة ومن

أهمها :

أ- قضاء اليمامة :

ومن الوظائف الهامة في اليمامة منصب القضاء، فكان يعين لها قاضياً من قبل الوالي، واشتهر من

قضاتها في ذلك العصر :

١- سلمة بن سلامة بن وقش بن عبد الأشهل الأنصاري : صحابي جليل، شهد العقبة الأولى

والثانية والمشاهد كلها، وولي القضاء في خلافة الفاروق عمر - رضي الله عنهما .^(٢)

٢- أيوب بن عتبة أبو يحيى اليمامي : تولى قضاء اليمامة وروى له ابن ماجه، وتوفي سنة

١٦٠هـ .^(٣)

٣- أيوب بن النجار بن زياد الحنفي : قاضي اليمامة، روى له البخاري ومسلم والنسائي، وتوفي

في حدود ١٩٠هـ .^(٤)

(١) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ١، مصدر سابق، ص ٢٤١ . في تعريفه بأكمة من قرى

الفليج . وج ٤ ص ٩٣ حين عرف بالعقيق، فذكر أن فيه منبراً من منابر اليمامة .

(٢) ابن سعد، محمد، (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، ج ٣، دار صادر، بيروت، ص ٤٣٩ ؛ ابن خياط، خليفة،

(ت ٢٤٠هـ)، مصدر سابق، ص ١٥٥ .

(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيك، (ت ٧٦٤هـ، ط ١٤٠١هـ)، ج ١٠، مصدر سابق، ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق، ص ٥٣ .

ب- السفاة:

لقد جعل المسلمون أرض نجد ومنها اليمامة عشرية لا خراج عليها ولا جزية على سكانها، حيث كانوا من المسلمين ففرضت عليهم الزكاة. (١)

وقد كانت اليمامة تمثل مورداً مهماً تجبي منه الدولة الإسلامية الزكاة، فكانت ترسل إليها بالعمال للجباية. وأوردت المصادر التاريخية والأدبية أسماء بعض هؤلاء العمال، ومنهم بعض الصحابة الأجلاء الذين لا يمكن أن يصدق عليهم ما ورد في قصيدة الراعي النميري:

١- الضحاك بن سفيان بن عوف الكلابي: صحابي جليل، بعثه الرسول ﷺ لجباية صدقات قومه بني كلاب. (٢)

٢- عروة بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير: وفد على رسول الله ﷺ فأسلم فولاه الصدقة على قومه بني قشير. (٣)

٣- مطرف بن الكاهن الباهلي: كتب له رسول الله ﷺ كتاباً في فرائض الصدقات. (٤)

٤- بشر بن سفيان: على صدقات بني كعب. (٥)

٥- عكرمة بن عبدالرحمن بن أبي بكر: على صدقات شعد والرباب، حينما كانت اليمامة تضم إلى المدينة المنورة. (٦)

٦- نوفل بن مساحق بن عبدالله بن مخزومة: كان يلي المساعي في اليمامة لدى بعض القبائل ومنها قبيلة كعب التي ينتسب لها مجنون ليلى، وكان له معه قصة تذكرها المصادر. (٧)

(١) السيف، عبدالله بن محمد، (١٤٠٣هـ)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص ١٧٦.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ، ط ١٣٩٨هـ)، ج ٢، مصدر سابق، ص ٢٠٦.

(٣) ابن سعد، محمد، (ت ٢٣٠هـ)، ج ١، مصدر سابق، ص ٣٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٦) الزبير، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٧) المصدر السابق، ص ٤٢؛ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، ج ٢، دار الثقافة، بيروت، ص ٤٦٩.

والمعروف أن الدولة الإسلامية تجعل الجزيرة عُشْرِيَّةً، ومن ثم تأخذ الخراج من كل أقاليمها، وقد بلغ ارتفاع اليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار. ^(١) وهو بلا شك مبلغ كبير يدل على أهمية الإقليم وثرائه.

(١) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، (ت ٣٨٠هـ، ط ١٤٠٨هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص ٩٨.

المبحث الخامس

الحياة الاقتصادية لليمامة في العصر الإسلامي

تميز إقليم اليمامة بتنوع أوجه النشاط الاقتصادي الذي مارسه سكانه، وساعد على هذا موقع الإقليم وطبيعة أرضه وسكانه بحيث عمل سكانه في الرعي وفي الزراعة وفي التجارة. وقد أطنبت المصادر الإسلامية في ذكر منتجاته وتفوقها على غيرها، حيث ذكر ابن الفقيه أن أهل اليمامة غلبوا أهل الأرض شرقها وغربها بعدد من الخصال؛ فلا أطيب من حنطتهم، ولا أشد حلاوة من ثمرهم، ولا أطيب مضغة من لحمهم، ولا أعذب من مائهم.^(١) ولذا فإن هذه المنتجات تحمل إلى الخلفاء لطبيها.

الرعي:

ويعد الرعي من الحرف الأساسية لقبائل اليمامة، حيث اشتهرت بمراعيها الخصبة التي ألهمت الشعراء، وفتنت الأدباء، حتى تغنوا بها، وأصبحت مضرب المثل في جمالها وسحرها. ولعل من أعظم ميزاتها أنها لا مثيل لها في كل البقاع، تفردت نباتات لا تنبت إلا فيها، فمهما رأى العربي من الحسن والجمال في الطبيعة، فإنه لا ينسى تلك المغاني النجدية، وفضلها من رآها على الأندلس وعلى بلاد الشرق التي سكنها بعد الفتوح الإسلامية لها.

كان لانتشار الأودية وكثرتها أثر كبير على قيام حرفة الرعي وازدهارها، وكان أكثر هذه الأودية ينتهي برياض فسيحة تتحول بعد موسم الأمطار إلى بساتين خضراء تنبت كل ما تحتاجه الماشية من غذاء. وصف ابن الفقيه اليمامة "بأنها واديان يصبان من مهب الشمال ويفرغان في مهب الجنوب"^(٢) وكانت هذه الأودية تسيل بالمياه أغلب أوقات العام حتى سماها الجغرافيون بالأنهار.^(٣)

أما الرياض، فهي كما ذكر ياقوت الحموي: "كل أرض واسعة مطمئنة بين ظهراين قفاف وجلد من الأرض يسيل إليها ماء سيولها فيستريض فيها أي يستنقع فتنبت ضروباً من العشب والبقول، ولا يسع

(١) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مختصر كتاب البلدان، ليدن، ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٣) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٢٨.

إليها الهيج والذبول، فكلما كان ذلك فهو روضة* (١) وإذا أعشبت تلك الرياض وتتابع عليها الوسمي ربت العرب ونعمها جمعاء. (٢) وحاول ياقوت الحموي حصر رياض بلاد العرب وذكر أنه عرف مئة وأربعين روضة، (٣) وأورد وصفاً لها ولمواقعها، ولما قيل فيها من أشعار. وباستعراضها نجد أن أغلبها في منطقة اليمامة، (٤) والروضات كما هي اليوم وتتركز غالباً عند مصبات الأودية حين تتلففها الرمال في أطراف اليمامة ووسطها.

وقد حصر ابن خميس سبعين روضة لا زالت معروفة إلى الآن في اليمامة، (٥) وفي هذه الرياض تنبت الأعشاب والأشجار التي ترعاها المواشي، ومن أنواع الأعشاب التي ذكرتها المصادر: "اليعضيد، والشقاري، والخمخم، والغريرا، والصمعاء، والمرار، والحواء، والقطبة، والحاذ، والبسباس، والحوذان، والحماض، والنفل، والذعاليق، والقفلان، والخزامي، والأقحوان، والعنصل". (٦)

أما الأشجار فعدة أنواع، فهناك أشجار شوكية غير مرتفعة، ومن أنواعها:

الشيخ، والغضا، والرمث، والقيصوم، والحمض، والرغل، والشمام، والسبط، والجشجات، والنصي، والعرفج... وغيرها كثير. (٧) ومن الأشجار العالية: الطلح، والعشر، واللبا، والقتاد، والسدر. (٨)

(١) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (١٤٠٦هـ)، المشترك وضعاً والمفترق صقماً، ط ٢، دار صادر، بيروت، ص ٢١٣؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (٦٢٦هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٨٣؛ وانظر الزبيدي، محمد بن مرتضى، (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٥، مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣٨.

(٢) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (٦٢٦هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (١٤٠٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢١٣.

(٤) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (٦٢٦هـ)، ج ٣، مصدر سابق، ص ٨٤-٩٦.

(٥) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، معجم اليمامة، ط ١، ج ١، ص ٥٠٥-٥١٥.

(٦) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٢؛ الأصمعي، النبات، ص ١٥.

(٧) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (٦٢٦هـ)، مصدر سابق، في مواضع متفرقة.

(٨) الغنيم، عبدالله بن يوسف، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك للبكري، ط ١، ذات السلاسل، الكويت، ص ١١٩؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (٦٢٦هـ)، ج ٤، مصدر سابق، ص ٣٨، ١٢٥، ٢٠٥.

أما أنواع الماشية التي يرعاها أهل اليمامة فهي الإبل والأغنام والخيل . وكان ثراء الأسرة أو القبيلة يقاس بعدد ما تمتلكه من هذه الأنواع، ويفتخرون بذلك . وقد قامت تجارة كبيرة في الإبل بشكل خاص، حيث تساق إلى أسواق الحجاز والعراق لبيعها، كما أن الخيل العربية اشتهرت بجودتها ولا زالت كذلك، ولذا فإن الخلفاء والولاة يحرصون على اقتنائها ويرسلون إلى بلاد اليمامة من يشتريها لهم. (١)

وعلى العموم، فإن مراعي اليمامة من أجود المراعي في الجزيرة العربية، ولذا يقول العرب: "من تصيف الشرف، (٢) وتربع الحزن (٣) وشتى الصمان فقد أصاب المرعى" (٤) ومن أشهر مراعي اليمامة المروّت. (٥)

الزراعة:

حبي الله إقليم اليمامة كل مقومات الزراعة، حيث كثرة المياه وخصوبة الأرض ووفرة الأيدي العاملة.

أما المياه، فإن العيون تنتشر في ذلك الإقليم بكثرة، وقد عدد ابن الفقيه بعضاً منها، وهي: عين الخضراء، وعين الهيت، وعين بجو، وعين الهجرة. (٦)

وفي الفلج عدد من العيون منها: عين ابن أصمغ، وعين الزباء، وعين الناقة. (٧) وإلى جانب العيون هناك سيوح كثيرة يسيل فيها الماء، ومنها سيح الرقادي، وسيح الأطلس (٨) وسيح القمر، وسيح

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٩؛ الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ٥، مصدر سابق، ص ٣٦٤؛ الصاحبى، الحلية في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام، ص ٣١-٣٢.

(٢) الشرف: كبد نجد وفيها الحمى والتشريف إلى الشرق ويفصل بينهما التسرير، والتشريف لبني ثمير، (انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٣٦).

(٣) الحزن: هو ما اشتد من الأرض، وربما قصدوا حزن يربوع قبيلة جرير، (المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٤).

(٤) الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٥) سهل واسع بين رمال قنفذة ورمال جراد أو السر.

(٦) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٢٨.

(٧) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٦.

(٨) المصدر السابق، ص ٣٠٦.

ملتقى للطرق القادمة إلى جنوب الجزيرة وغربها وشرقها والصادرة منها، كما أنه يمثل الطريق المهم للحجاج القادمين من البحرين والعراق وما والاها، ولذا ازدهرت الأسواق التجارية وازدهمت بالسلع من كل مكان.

ومن العوامل التي ساعدت على هذا الازدهار توفر الأمن وما توليه الخلافة الإسلامية سواء في دمشق أو بغداد من اهتمام بالطرق ومطاردة للصوص وقطاع الطريق، وقد كان ولاية اليمامة يقومون بهذه المهمة. ولدينا شواهد تاريخية كثيرة، ومنها جهود والي اليمامة إبراهيم بن عربي الذي كان يقبض على اللصوص وقطاع الطريق ويزج بهم في سجن دوار باليمامة. (١) على أن الفتن التي كانت تقوم بين الحين والآخر كانت تحد من ازدهار التجارة مؤقتاً، لكنها سرعان ما تعود للانتعاش من جديد، كما حدث في فتنة الخوارج في العهد الأموي. (٢)

وقد اشتهرت عدد من الأسواق في إقليم اليمامة بعضها موسمي وبعضها دائم كعادة العرب في الاجتماع في موسم معين للبيع والشراء، وقد تكون هذه الأسواق عامة لجميع السلع، وبعضها يكون متخصصاً لسلعة معينة، كتجارة المواد الغذائية مثل التمر والحبوب والثمار، أو تجارة المواشي بأنواعها أو تجارة الرقيق، أو تجارة المنسوجات، وهكذا بقية السلع، وتقام هذه الأسواق في المراكز السكانية وأهم المدن.

على أن هناك أسواقاً اشتهرت منذ الجاهلية، وظلت بعد الإسلام يقصدها التجار من أرجاء الجزيرة العربية المختلفة، وأهمها: سوق حجر الذي قام في أهم مدن اليمامة في ذلك العصر مدينة حجر، وظل طيلة العصر الأموي يرتاده العرب من كل مكان، وتحمل إليه السلع المختلفة، كما تباع فيه منتجات اليمامة، ولذا عرف أيضاً بسوق اليمامة، وتقوم فيه صناعات مختلفة. (٣)

ومن أسواق اليمامة المشهورة سوق الفلج، وقد ضم هذا السوق أربعمائة حانوت، ولذا كان لكبره

(١) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٥٢.

(٣) الأصفهاني، أبو الفرج، (ت ٣٥٦هـ)، مصدر سابق، ج ٩، ص ١٠٩؛ خسرو، ناصر العلوي، (ت ٤٨١هـ، ط ١٩٨٣م)، سفرنامه، ترجمة د. يحيى الخشاب، ط ٣، دار الكتاب الجديد، ص ١٤١؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ج ٥، دار صادر، بيروت، مادة حجر.

كالمدينة العظيمة، ويفد إليه التجار من اليمن وغيره، وظل هذا السوق حتى العصر العباسي. (١) ولعل سبب ازدهار هذا السوق وشهرته يعود إلى وقوعه على الطريق الذي يربط اليمن باليمامة والعراق، والظاهر أن منتجات الفلج وبخاصة التمور كانت تباع في هذه السوق. (٢)

وإلى جانب هذين السوقين قامت أسواق أخرى متفرقة، وقد ذكر ياقوت في معجمه، وكذا البكري بعضاً من هذه الأسواق، مثل: سوق الخضرمة، وسوق الحائط، وجماز بالفقي، وسوق خربة وغيرها. (٣)

ولا شك أن قيام هذه الأسواق قد استدعى وجود مهن كثيرة لخدمة التجارة كالسمسرة والصيرفة والحمالة وغيرها.

أما عن السلع المتداولة فقد كان من أهمها منتجات اليمامة كالحنطة التي اشتهرت بطبيعتها وغلاء ثمنها، ولذا حملت للخلفاء والولاة وأصبحت غذاء الأغنياء، (٤) والتمر الذي تعددت أنواعه وحمل إلى جميع البقاع. (٥) واشتهر كذلك رمان القرية (سدوس) وحمل إلى مناطق كثيرة وبلغ من كثرته أن مائة رمانة تباع بدرهم، ولو حمل ألف راحلة مرة واحدة لما تأثر إنتاجها. (٦)

وكثر جلب الماشية إلى أسواق اليمامة، وكانت تصدر إلى بقية الولايات الإسلامية، واشتهرت

(١) الأصفهاني، أبو الفرج، بلاد العرب، ص ٢٢٤؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٢) السيف، عبدالله بن محمد، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ١٠٩؛ وانظر خسرو، ناصر العلوي، (ت ٤٨١هـ، ط ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ١٤٠، حيث وصف كثرة التمور في الأفلاج التي مربها.

(٣) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٦٧-٣٧٦؛ البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ص ٤٩١؛ وانظر الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ٢٥١١.

(٤) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٢٩.

(٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٧؛ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مصدر سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٦) الحربي، إبراهيم بن إسحق، (ت ٢٨٥هـ، ط ١٣٨٩هـ)، مصدر سابق، ص ٦١٧؛ الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ٤، مصدر سابق، ص ٣٤٠.

اليمامة بخيولها الأصيلة التي يقبل على اقتنائها الخلفاء والأمراء. ^(١) وهناك منتجات صناعية اشتهرت بها اليمامة، ومن أهمها: السيوف والرماح والأسنة والسهام والأقواس. ^(٢) وانتعشت الصناعات الحديدية حيث لفتت انتباه الرحالة ناصر خسرو حينما مر باليمامة، ^(٣) وكذا المنسوجات التي وصلت شهرتها خارج منطقة اليمامة التي كانت تصنع في بعض مدنها كثرمداء. ^(٤)

الصناعات والحرف:

قامت في اليمامة صناعات كثيرة استدعتها الحاجة، واشتغل بها فئة من السكان، فكانت مصدر رزق كبير لهم، وقد حفلت المصادر كما حفلت دواوين الشعراء بذكر أنواع متعددة من هذه الصناعات اليدوية التي ازدهرت في إقليم اليمامة، وقد لفتت انتباه القادمين لليمامة، ومنهم الرحالة ناصر خسرو، الذي ذكر أن في سوق اليمامة صناعات من كل نوع. ^(٥)

ولقد ساعد على ازدهار الصناعة وجود المعادن بكثرة في إقليم اليمامة، سواء المعادن الثمينة (الذهب والفضة) أو الحديد والنحاس. وعدد الجغرافيون هذه المناجم التي انتشرت في منطقة الرياض ولا زالت آثارها باقية إلى عصرنا الحاضر في شكل حفر عميقة في الأرض.

ومن أشهر هذه المناجم التي يسميها الجغرافيون المعادن ما يلي:

معدن شمام: الذي يقع شرق عالية نجد ويستخرج منه الفضة والنحاس، وفيه عمال يقومون بذلك من غير سكان المنطقة، ويقع فيما يعرف بسواد باهلة قرب القويعية. ^(٦) وبالقرب منه يقع معدن

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ، ط ١٩٦٦م)، التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبدالوهاب، دار الكتاب الجديد، ص ٣٤.

(٢) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، ج ٤، مصدر سابق، ص ٣٤٥؛ أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق، ج ١، ص ٣١٣؛ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، مصدر سابق، ج ٥، مادة حجر.

(٣) خسرو، ناصر العلوي، (ت ٤٨١هـ، ط ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ١٤١.

(٤) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٦.

(٥) خسرو، ناصر العلوي، (ت ٤٨١هـ، ط ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ١٤١.

(٦) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٢٩٤-٢٩٩.

العوسجة حيث تستخرج الفضة،^(١) ومعدن الثنية - ثنية ابن عصام الباهلي - حيث يوجد الذهب وكذلك معدن تياس للذهب.^(٢)

ومن أشهر معادن اليمامة معدن العقيق الذي يعده الهمداني أغزر معدن في الجزيرة العربية لإنتاج الذهب،^(٣) ولا يقل عنه منجم حليت الذي يحمل ذهبه للبيع في بقية مناطق الجزيرة العربية،^(٤) وهناك معدن الحسن أو الأحسن ويتتج الذهب والفضة وهو لبني كلاب.^(٥)

وقد عدد ياقوت معادن اليمامة، ومنها: شخب، مؤزر، الهرّوه، العيصان، ناضحة، أضاخ، العرقوب"، وكلها تنتج الذهب والفضة.^(٦)

وقد قامت على حرفة التعدين صناعات يدوية مختلفة، ومن أهمها: صناعة الأسلحة كالسيوف والسهام، واشتهرت السيوف القساسية نسبة إلى معدن قساس جبل بني نمير،^(٧) وكذلك السيوف الحنيفية التي يرجح أنها تنسب لقبيلة بني حنيفة،^(٨) أما السهام فتصنع في (بلاد ويترّب) القريبتان من حدر، وهي أجود السهام التي ذكرها العرب،^(٩) كما قال الأعشى:^(١٠)

منعت قسي الماسخية رأسه
بسهم يترب أو سهام بلاد

- (١) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٦٨.
- (٢) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٢٩٩.
- (٣) المصدر السابق، ص ٣٢٩.
- (٤) الهجري، أبو علي، أبحاث الهجري في تحديد المواضع، ص ٢٧٣-٢٧٤.
- (٥) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٢، ج ٥، ص ١٥٤.
- (٦) المصدر السابق: وانظر السبيعي، إبراهيم، الجغرافيا التاريخية لمنطقة الرياض من خلال معجم البلدان، ص ٢٧٠.
- (٧) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٤٥.
- (٨) الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ٢٢٥.
- (٩) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٧٦.
- (١٠) البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، (ت ٤٨٧هـ)، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٧؛ وانظر كذلك ديوان الأعشى،

وتصنع أسنة الرماح كذلك في اليمامة ، واشتهر بصناعتها رجالان هما إبزى وشرعب ، وفيها يقول الأعشى: (١)

وكَدُنُّ من الخَطِيّ فيهِ أسنة ذخائر مما سن إبزى وشرعب

ومن الصناعات التي اعتمدت على المعادن: صناعة الحلبي الذي تتزين به المرأة كالقلادة والشنوف والقروط التي تنسب صناعتها ليترب باليمامة ، قال الشاعر: (٢)

واجدرنا أن ينفخ الكير خاله يصوغ القروط والشنوف بيتربا

ومن الصناعات التي كانت موجودة في المنطقة صناعة النسيج والحياكة ودباغة الجلود ، وقد تضافرت العوامل على ازدهارها ، حيث توفرت المواد الأولية من أصواف وأوبار وجلود . كما أن الحاجة قد دعت إليها لدى مجتمعات تعتمد على التنقل والارتحال في طلب العيش فاضطرت إلى هذه الصناعات اليدوية لكي تسد حاجتها . واشتهرت بعض المناطق بالنسيج والحياكة ، كما اشتهرت بعض القبائل بها ، فبلدة ثرمداء في إقليم الوشم اشتهرت بحياكة البرود الثمينة ، يقول حميد بن ثور الهلالي مخاطباً ابنه الذي اعتاد الدخول على خلفاء بني أمية: (٣)

ما بال بردك لم تمس حواشيه من ثرمداء ولا صنعاء تحبير

وقبيلة بني نمير وصفها الشاعر بهذه المهنة فقال: (٤)

نميراً جعلت لحوك البرود وخذ النعال وصنع اليلب

ولا شك أن أهل اليمامة قد نسجوا خيامهم بأيديهم ، فهي مسكنهم في الصحراء ، وكانت النساء يقمن بالنسيج وهن يتجولن لرعي الماشية . أما الدباغة ، فكانت منتشرة لوجود الجلود وللحاجة إلى كثير

(١) ديوان الأعشى ، ص ١٢

(٢) الأصفهاني ، أبو الفرج ، (ت ٣٥٦هـ) ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٥٩ ؛ وانظر الوشمي ، صالح بن سليمان الناصر ، (١٤١٢هـ) ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ .

(٣) الحموي ، ياقوت بن عبدالله الرومي ، (ت ٦٢٦هـ) ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٦ ؛ وانظر ديوان حميد بن ثور ، ص ٨٢ .

(٤) السيف ، عبدالله بن محمد ، (١٤٠٣هـ) ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

من الأدوات التي تستعمل في الحياة اليومية كالقربة لحفظ الماء أو اللبن أو العسل أو السمن، كذلك النعال والخفاف والحياض والبسط الجلدية. (١)

وكانت ببلاد اليمامة مواد ساعدت على ازدهار هذه الصناعة مثل شجر القرظ الذي تستخدم أوراقه في الدباغة، (٢) ويسمى ورق السلم، وهو أجود ما تدبغ به الأدم في بلاد العرب. (٣)

وإلى جانب هذه الصناعات وجدت حرف أخرى اشتغل بها سكان المنطقة كالنجارة، حيث توجد المواد الأولية كخشب الأثل وجذوع النخل وغيرها فاستخدموها في المساكن وبعض الأدوات. (٤)

وصنعوا من سعف النخيل أدوات منزلية استخدموها في حياتهم اليومية كالحصر والسلال والجلال التي تحفظ التمر وتصنع في الوشم. . (٥) إلى غير ذلك من الحرف، كالاكتطاب، والعطارة وجمع الملح والكحل، والبناء، والكراء. . وغيرها. (٦)

(١) المرجع السابق، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٤٠.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، مصدر سابق، ج ٧، ص ٤٥٤، مادة قرظ.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، مصدر سابق، ص ٣٠٥.

(٥) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ)، مصدر سابق، ص ٢١١.

(٦) الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ٢٣١ وما بعدها.

obeyikan.com

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، (ت ٣١٤هـ، ط ١٤٠٦هـ)، الفتوح، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ، ط ١٣٩٨هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، بيروت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت ٣٥٠هـ، ط ١٩٤٨م)، صورة الأرض، ط ٢.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المشهور بتاريخ ابن خلدون ٣٩١هـ.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ)، تاريخه، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض.
- ابن رسته، أحمد بن عمر، (١٨٩٣م)، الأعلام النفيسة، مدينة ليدن.
- ابن سعد، محمد، (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد، (ت ٢٩٠هـ، ط ١٣٠٢هـ)، مختصر كتاب البلدان، ليدن.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت.
- ابن كثير، الحافظ إسماعيل الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ط ٢، مكتبة المعارف، بيروت.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي، (١٩٣٧م)، مسالك الممالك، ليدن.
- الأصفهاني، أبو الفرج، (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، دار الكتب المصرية والهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البكري، حسين بن محمد، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان، بيروت.
- البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، (ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٨هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبدالله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت.
- الحرابي، إبراهيم بن إسحق، (ت ٢٨٥هـ، ط ١٣٨٩هـ)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، دار اليمامة، الرياض.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
- الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (١٤٠٦هـ)، المشترك وضعاً والمفترق صقلاً، ط ٢، دار صادر، بيروت.
- خسرو، ناصر العلوي، (ت ٤٨١هـ، ط ١٩٨٣م)، سفرنامه، ترجمة د. يحيى الخشاب، ط ٣، دار الكتاب الجديد.
- ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت.
- الزبييري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله، (ت ٢٣٦هـ)، نسب قريش، عني بنشره وصححه وعلق عليه أ. ليفي بروفنسال، ط ٣، دار المعارف، القاهرة.
- الزبيدي، محمد بن مرتضى، (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة، بيروت.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم، (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط ٢، دار المعرفة، بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ، ط ١٤٠١هـ)، الوافي بالوفيات، ط ٢، تحقيق مجموعة من العلماء.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ط ١، دار الفكر، بيروت.
القرشي، أبو محمد بن أبي الخطاب، (توفي أوائل القرن الرابع الهجري، ط ١٤٠١هـ)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام، الرياض.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، مكتبة المعارف، بيروت.
المقدسي، محمد بن أحمد البشاري، (ت ٣٨٠هـ، ط ١٤٠٨هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (توفي بعد ٣٤٤هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوغ، دار اليمامة، الرياض.

اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح، (ت ٢٨٢هـ، ط ١٩٦٠م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

ثانياً المراجع:

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، معجم اليمامة، ط ١، الخضري، محمد بك، (د. ت.)، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
زيادة، محمود محمد، (د. ت.)، تاريخ العالم الإسلامي، الخلفاء الراشدون، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

السيف، عبدالله بن محمد، (١٤٠٣هـ)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي.

الغنيم، عبدالله بن يوسف، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك للبكري، ط ١، ذات السلاسل، الكويت.

الوشمي، صالح بن سليمان الناصر، (١٤١٢هـ)، ولاية اليمامة، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض.

obeyikarh.com